السرطان وما عرف عنهُ

لا عجب اذا تناولنا البحث في هذا الموضوع المرة بعد الاخرى لان السرطان من شر الادواء المعرّض لها جسم الانسان ولان الاهتمام به يفوق الاهتمام بكل مرض آخر لخفاء سببهِ . فان السل افتك منهُ واكثر انتشاراً ولكن عُرف سببهُ فصار اتقاؤهُ ميسوراً وكذلك الجدري والطاعون والكوليرا والتيفوييد ونحوها من الاوبئة كلها افتك من السرطان ولكن اسبابها عُرفت فصار في الامكان اتقاؤها وقلَّ الخوف منها او زال تماماً . اما السرطان فلم تزل علتهُ مجهولة مع اتصال البحث عنها . وفي السطور التالية خلاصة ما عرف عنهُ حتى الآن وهي مقتطفة من مقالة للدكتور كرامر نشرت في عدد ابريل من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية .

اولاً يقال ان السرطان آخذ في الانتشار بسرعة . ولكن لا دليل على ذلك ولا على ان انتشارهُ زاد الآن عمَّا كان قبلاً

وثانياً انهُ على شدة فتك السرطان بالذين يصابون به يمكن شفاؤهُ بعملية جراحية اذا عرف عند اول ظهوره . ولكن معرفتهُ حينئذٍ غير ميسورة في الغالب لانهُ لا يكون لهُ ادلة خاصة يعرفهُ بها من يصاب به

وثالثاً ان كيفية تولد السرطان صارت معروفة فان كل عضو من اعضاء الجسم مؤلف من دقائق صغيرة خاصة به تسمى خلايا ربها بعمل كل عضو عملهُ الخاص به فالغدد اللعابية مؤلفة من دقائق او خلايا تفرز اللعاب . والقلب مؤلف من دقائق عضلية تنقبض وتنبسط فتدفع الدم في الشرايين . والدقائق المؤلف منها جسم الانسان متصل بعضها ببعض بألياف دقيقة هي خلايا مثلها ولكنها مستطيلة . ودقائق العضو الواحد تنمو معاً مواظبة على عملها كأنها اعضاء شعب جمهوري يعمل افرادهُ لخير الجمهور كلهِ حتى اذا اصاب عضواً آفة قتلت بعض دقائقهِ اهتمت الدقائق التي حولها ببناء دقائق اخرى بدلاً منها . فاذا جرحت اصبعك تلف جانب من دقائقهِ فانبهت الدقائق التي حول الجرح حالاً وجعلت تنمو بسرعة الى ان يلتحم الجرح . لكن نمو هذه الدقائق مقيَّد عادةً فلا يتجاوز حدّاً محدوداً . فالانسان من طفولتهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ نموهُ مقيد في مدتهِ ومقداره فلا يصير الطفل رجلاً في شهر ولا تطول قامتهُ الاَّ الى حد محدود وكذلك كل عضو من اعضائهِ يبلغ حدّاً محدوداً في

مقداره وفي الزمن الذي يبلغ فيهِ هذا الحد ثم لا يزيد عليهِ. وما ذلك الاَّ لان نمو الدقائق التي يتألف منها الجسم مقيَّدٌ في زمانهِ ومقداره ولا نعلم ماهية هذا القيد ولكنهُ شيء واقع لا شبهة فيهِ

وهنا نصل الى السرطان فان بعض هذه الدقائق او الخلايا يكسر القيود او يخطاها ويجعل ينمو طليقاً لسبب لم يعلم حتى الآن . فاذا وقع ذلك في الجلد نمت دقيقة من دقائقهِ حيث لا داعي لنموها وانقسمت الى اثنين وكل واحدة منها تنمو وتنقسم الى اثنين وارثةً هذا الميل من امها فتصير الدقائق اربعاً . وكل واحدة منها تنمو وتنقسم وهلمَّ جرًّا . ومتى حدث هذا النمو والانقسام احدى عشرة مرة صارت الدقيقة الواحدة اكثر من الف دقيقة . والدقيقة من دقائق الجلد صغيرة جدًّا لا ترى الاَّ بالمكرسكوب لان قطرها جزء من مائة جزء من المليمتر ولكن مجموع ما يتولد منها يكبر رويداً رويداً حتى تصير ترى بالعين ومتى زاد نموها تدفع الدقائق السليمة من حولها وتزحمها حتى تميتها وتحل محلها وتظهر هي في شكل ورم

وما دام هذا الورم محصوراً في محلهِ فلا خطر منهُ ويمكن الشفاء بنزعهِ واما اذا لم ينزع فقد تنفصل منهُ دقائق تجري مع الدم وتنتشر في الجسم الى ان تصل الى عضو يعوق سيرها فتقف وتجعل تنمو فيهِ وتكاثر فيتكون السرطان من ذلك . وانتشار السرطان سريع وليس لهُ علامات ظاهرة في اول امره كالحمى او الالم وقد لا يشعر بهِ بالمرة الاَّ كورم صغير جدًّا في الجلد او الثدي او اللسان . هذا اذا كان في محل ظاهر . واما اذا كان في عضو باطن كالمعدة فيصعب جدًّا معرفة وجودهِ لان صاحبهُ قلما يشعر بألم او بسوء هضم في اول الامر . اما اذا كان في مكان ظاهر وأستفصل في بدايتهِ فالغالب انهُ يزول تماماً فقد اثبت احد الجراحين انهُ شفى نصف الحوادث التي عالج السرطان فيها بنزعهِ . والمرجح انهُ اذا عولج السرطان في اول ظهورهِ فثلاثة ارباع حوادثهِ تشفى . وقد نشرت وزارة الصحة البريطانية ان ٣٥٧ حادثة من حوادث سرطان الثدي عولجت باستئصال السرطان و٨٧ منها كان السرطان في بدائتهِ فشفي منها ٧٨ والاصح ان يقال انهُ مضى عشر سنوات وهؤلاء النساء الثمان والسبعون لا يزلن في قيد الحياة اما اللواتي عولجن بعد ما شرع السرطان ينتشر في ابدانهن فقلَّ من كلهن في السنوات العشر الاَّ ٢٧ . وما كل ورم سرطان ولكن الطبيب المختص يميز الورم السرطاني من غيرهِ . وسنثبت ثمة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي